

النضال من أجل حياة الموكلين؛ تأثير عقوبة الإعدام على محامي الدفاع

مقدمة

وجود الكثير من العمل الملح الذي كان يمكن القيام به بسهولة لو كان الوقت متاحاً، قد يشعر المحامون بتوتر يصفونه بأنه «يشل قدراتك، وتشعر أنك على وشك الانفجار، وتشعر أنك تفقد عقلك، أو تريد الصراخ»².

لفهم التأثير الاجتماعي لعقوبة الإعدام، علينا دراسة الكيفية التي تؤثر بها هذه الممارسة على الأشخاص المرتبطين بها بشكل وثيق. حيث يؤثر كل حكم بالإعدام على مجموعة من الناس بالإضافة إلى السجن الذي يواجهه الإعدام: عائلة السجن، وعائلة الضحية، وموظفي السجن، والفريق الذي سينفذ حكم الإعدام، ومحامي الدفاع. فهم جميعاً جهات معنية وحاسمة، وخاصة المحامين في مرحلة ما بعد الإدانة الذين يتدخلون بعد إصدار حكم الإعدام ويحاولون وقف التنفيذ. في هذه المرحلة النهائية، تكون الحاجة حادة والموارد شحيحة للغاية. وبالنسبة لمحامي الدفاع في مرحلة ما بعد إصدار الحكم بعقوبة الإعدام فإن التحدي كبير لأن الخسارة في هذه الحالة تعني خسارة حياة الموكل.

محام من الهند

«معظم السجناء المحكوم عليهم بالإعدام أميين وفقراء. وليس لديهم إمكانية الوصول إلى المعرفة بشأن الحقوق وسبل التقاضي، الخ، ولا يستطيعون الوصول بشكل فعلي إلى المحامين. وقد تخلت عائلاتهم، الفقيرة والمرهقة أصلاً، عن الأمل أو تركت السجن لمصيره... وعادة ما يتمكنون من الوصول إلي قبل أيام قليلة فقط أو حتى ساعات قليلة قبل تنفيذ الإعدام. وفي فسحة الوقت الصغيرة جداً هذه علي أن أبتكر طريقة ما للحصول على وقف مؤقت للتنفيذ على أساس انتهاك الحقوق أو الإجراءات الواجبة».

ماذا يعني أن يتحمل المرء تبعات هذه المسؤولية الهائلة، أو الخسارة في قضية موكل محكوم عليه بالإعدام؟ كيف يؤثر الدفاع في قضايا المحكوم عليهم بالإعدام على الحياة العاطفية والجسدية للمحامين الذين يقومون بذلك؟

محام من نيجيريا

«هناك العديد من التحديات التي تواجه محامي الدفاع في قضايا عقوبات الإعدام: نظام قضائي يحيك المكائد والصعوبات ضدك وضد موكلك، خصوصاً، لا سمح الله، إذا كان فقيراً/ معوزاً، وحقيقة أن أكثر من 90٪ من حالات الإدانة في جميع المسائل الجنائية تستند إلى حد كبير إلى الاعترافات، التي يتم الحصول عليها في أغلب الحالات تحت وطأة التعذيب. ناهيك عن تجاهل حقوق قانونية ودستورية أخرى أو انتهاكها».

ظروف صعبة

من المعروف أن إسقاط حكم الإعدام وإلغائه أصعب من منع إصدار هذا الحكم في المقام الأول. وبالنسبة للمحامين في مرحلة ما بعد الإدانة، فإن التهديد بالإعدام الوشيك يجعل حاجة الموكل للتمثيل ملحة للغاية، وجسامته تلك الحاجة مقارنة بعدد المحامين ذوي الخبرة والمعرفة في هذا المجال يمثل ضغطاً كبيراً. ويصف محامي من الولايات المتحدة الأمريكية الأمر بهذه الطريقة: «أنا أقوم بالكثير من الأمور، ومع ذلك لا تزال هناك نواقص كثيرة وحاجة كبيرة. فهناك الكثير من الناس الذين يقولون «ساعدوني، ساعدوني، ساعدوني... والشيء الذي يؤلني: الأشخاص الذين لا أستطيع مساعدتهم»¹.

ومن الصعوبات الإضافية، التأييد الشعبي القوي لعقوبة الإعدام وفي الوقت نفسه عدم احترام المحامين الذين يمثلون أشخاص محكوم عليهم بالإعدام. والعمل دون قبول مجتمعي وأحياناً تحت تهديد صريح من حكوماتهم يفرض ضغوطاً إضافية على المحامين المتخصصين في قضايا الأشخاص المحكوم عليهم بالإعدام.

ويعمل المحامون في هذه المرحلة أيضاً تحت ضغط شديد فيما يتعلق بالوقت، وأحياناً بسبب الحدود التي وضعها القانون فيما يتعلق بوقت رفع العريضة، وأحياناً لأن السجناء يجهلون حقهم في الحصول على الإغاثة في مثل هذه المرحلة المتأخرة ولا يتصلون بمحامي إلى أن يصبح تنفيذ حكم الإعدام وشيكاً. ومع

1- مقتبس من سوزانا شيفر، النضال من أجل حياتهم: خبرة محامي الدفاع في قضايا الإعدام، ناشفيل، تينيسي، منشورات جامعة فاندربيلت، 2013. تشير تقديرات مشروع التمثيل في قضايا عقوبة الإعدام لنقابة المحامين الأمريكيين أن هناك مئات السجناء المحكوم عليهم بالإعدام في الولايات المتحدة الأمريكية الذين لا يزالون دون تمثيل.

2- مقتبس من النضال من أجل حياتهم.

عبء المسؤولية

يصف المحامون مسؤولية محاولة منع تنفيذ الإعدام باعتبارها عبئاً هائلاً يلزمهم على الدوام، مما يصعب القيام أو التفكير بأي شيء آخر. والشعور شخصي جداً: «حياته بين يديك»، «تشعر أنك الشيء الوحيد بين موكلك وعملية إعدامه³» ويشبه بعض المحامين الأمر برؤية شخص ما مقيد إلى سكة الحديد أثناء اقتراب القطار؛ وظيفتهم هي وقف القطار، أو فك العقد، في الوقت المناسب لمنع الاصطدام المميت.

ومعرفة وقت تنفيذ الإعدام بالضبط يشكل عبئاً فريداً من نوعه. والإعدام المفاجئ، كما يحدث في بعض الدول حيث لا يتم الإعلان عن عمليات الإعدام في وقت مبكر، أمر مدمر.

الإعدام وتداعياته

حياتي وتهيمن على أفكاري خلال النهار، وتفسد استمتاعي بأي شيء وتغزو أحلامي في الليل. وعادة ما أعاني من كوابيس عن حالات الإعدام، وأتصور أن بعضها يحدث في شفتي أو على حافة شرفتي حيث تم نصب منصة الإعدام، وأنه يتم إسقاط السجين من حافة الشرفة والحبل مربوط حول عنقه. وأثناء تحضير القضية، أشعر أحياناً بخوف كبير بحيث أصبح غير قادر على العمل، وأضطر إلى الاختباء والتكور تحت بطانية والاستسلام للنوم. وعلي أن أمنع نفسي من تناول الكحول. ومنذ أن بدأت بالقيام بهذا العمل، يقول لي الناس أنني كبرت ست سنوات خلال ستة أشهر».

يقول المحامون الذين يحظون بفرصة القيام بزيارة أو مكالمة هاتفية أخيرة مع موكلهم قبل الإعدام أن المحادثات الأخيرة تكون موجعة للغاية، حيث أنهم مضطرون لأن يشرحوا للموكل أنه لا يوجد شيء آخر يمكن القيام به. والاضطرار إلى شرح هذا لأفراد عائلة الموكل ومشاهدة معاناتهم أمر مؤلم وصعب للغاية.

محام من الولايات المتحدة الأمريكية

«أصعب شيء وجوه الأمر، هو ما يحدث خلال النصف ساعة في الزيارة الأخيرة. فهذه من الأمور الأكثر إيلاماً بالنسبة لي، والأكثر إرهاقاً، الأمور التي تدفعني إلى الحافة، الأمور الأصعب للحديث عنها... فأنت تحاول مواساة شخص على وشك الموت. أنه أمر لا يصدق. لا أحد يستطيع أن يكون مقنعاً في هذا الموقف. كيف يمكنك ذلك؟»

محام من الولايات المتحدة الأمريكية

«كنت خارج السجن مع والدة موكلي»، والتي كان ظهرها منحنيًا للأمام ومنهارة. فقد ودعت للتو ابنتها للمرة الأخيرة وهي تبكي وتنتحب. كانت تلك إحدى أصعب اللحظات التي عشتها. هذا جانب بشأن عقوبة الإعدام الذي لا يراه الناس. كان الأمر قاسياً للغاية. لا يمكنك أن تفعل أي شيء لها».

يحظر على العديد من المحامين أن يشهدوا عملية تنفيذ إعدام موكلهم. وحتى حين يكون مسموحاً بذلك، يختار بعض المحامين ألا يحضروا، إما لأن هذا سيجعلهم يشعرون أنهم متواطئون في العملية أو لأنهم يخافون أن يصعب عليهم الاستمرار في عملهم كمحامي دفاع في قضايا أخرى لأشخاص محكوم عليهم بالإعدام. والمحامين الذين يختارون أن يشهدوا تنفيذ الإعدام يفعلون ذلك عادة انطلاقاً من التزام شخصي للموكل ورغبة بالبقاء إلى جانبه حتى النهاية.

محام من اليابان

«عدم وجود معلومات وانعدام الشفافية بشأن عقوبة الإعدام وعملية التنفيذ يشكل تحدياً كبيراً. حين تم إعدام أحد موكلي، لم أعلم بالأمر إلا بعد حدوثه، حين سمعت وزارة العدل تعلن عن ذلك في مؤتمر صحفي صباح ذلك اليوم. كان الأمر صعباً للغاية».

محام من الولايات المتحدة الأمريكية

«حين يحصل الموكل على موعد التنفيذ، يكون ذلك أشبه بسحابة سوداء كبيرة لعدة أسابيع أو أشهر. إنه حقا شيء يصعب التعايش معه، الذعر المتزايد... إنه موجود دائماً. من الصعب أن تعيش حياتك بصورة طبيعية».

محام من الولايات المتحدة الأمريكية

«حياته بين يدي. إنه أمر مرهق ورهيب. بل هو بالنسبة لي أمر لا يطاق».

محام من نيجيريا

«إن قبول قضية شخص محكوم عليه بالإعدام مسؤولية ضخمة بالطبع وإدراك أن حياة شخص ما تعتمد على نجاحك قد تحفزك في بعض الأحيان وتخيفك في أحيان أخرى».

محام من الهند

«أنا متخصص في قضايا عقوبات الإعدام في المراحل الأخيرة... وتخيفني هذه القضايا وأشعر بالشعيرية في كل مرة تأتيني فيها قضية جديدة. وحين أقبلها، أشعر أنني أعيش وأنا أحمل تابوتاً على ظهري. فهي تستولي على

لأنفسهم. والتأييد المجتمعي لعقوبة الإعدام والمفاهيم الخاطئة عن محامي الدفاع في قضايا عقوبة الإعدام قد يجعل المحامين حذرين من طلب المساعدة أو الدعم لمشاكلهم الخاصة.

الاستمرار في المكافحة والتعليم

المحامون الذين يقررون قبول هذه القضايا الصعبة وعالية المخاطر يفعلون ذلك لأنهم يؤمنون بقوة ضرورة الدفاع عن الأفراد الذين يواجهون أقسى العقوبات. والنضال من أجل حياة موكلهم، والمواجهة وجها لوجه مع واقع عقوبة الإعدام وعملية التنفيذ، قد يزيد أيضاً من رغبة المحامي في العمل على إنهاء عقوبة الإعدام تماماً. ولكن بالنسبة للمحامين في قضايا عقوبة الإعدام، فإن العمل اليومي سيكون دائماً دقيقاً ومحدداً. ويظل تركيزهم المباشر على موكلهم الذين حياتهم في خطر، وعلى الحفاظ على قدرتهم على الاستمرار في العمل، وعلى محاولة تطبيق ما تعلموه.

محام من إيران

«أحتاج إلى تجديد نشاطي من أجل الدفاع في قضايا أخرى. يجب أن يكون لدي الطاقة للقتال مرة أخرى. فهناك أشخاص آخرون لا يزالون بحاجة لمساعدتي. أحاول أيضاً استخدام خبرتي لتعليم محامين وطلاب آخرين».

محام من الولايات المتحدة الأمريكية

«إذا فشل كل شيء آخر، فإن ما تفعله هو صنع سجل توثيقي للمستقبل. حين أرى ما أعتقد أنه فظيع للغاية، وظلم حقيقي يؤلني لأنه أمر خاطئ، وأشعر أنه يجب أن يعرفه كل العالم، وإن إخراجهم للنور هو إنجاز... هذا ما يجعلني أواصل بغض النظر عن أي شيء».

محام من الهند

«أقوم بهذا العمل لأنني أشعر بأشمزاز عميق من فكرة أنه يمكن أن يسمح للدولة بقتل شخص ما بطريقة متعمدة وبدم بارد باسمنا. أشعر شخصياً أنني مدنس مع كل عملية إعدام وبالتالي مجبر على بذل أقصى جهدي لمنعها».

مصادر شهادات المحامين: جميع الاقتباسات من المحامين من الولايات المتحدة الأمريكية هي من «النضال من أجل حياتهم». إيران: مقابلة مع حسين رئيسي. الهند: مقابلة مع يوغ موهيت تشودري. اليابان: مقابلة مع ميكو تاغوساري. نيجيريا: مقابلة مع جعفر آدمو.

ولكن سواء شهد المحامون عملية تنفيذ الإعدام أم لا، فإن تأثير فقدان موكل ما بهذه الطريقة مؤثر وأحياناً يكون طويل الأمد. فبعد هذا الحدث، قد يشعر المحامون بالحزن والغضب والذعر واجترار الذكريات ومشاعر الانفصال أو الاكتئاب التي قد تدوم لأيام أو أسابيع أو حتى أشهر أو سنوات.

محام من الولايات المتحدة الأمريكية

«ظل الموضوع يطاردني لأشهر. فقد يطرأ على بالك فجأة، كما في حالة الصدمات النفسية الكبيرة، حيث لم تكن حتى تفكر بالأمر، وفجأة يغزو أفكارك ولا يمكنك إخراجها من ذهنك».

محام من اليابان

«بعد أن تم إعدام موكلي، كنت أفكر دائماً بما كان يمكنني فعله غير ما فعلته أو ما كان بوسعي القيام به بشكل مختلف. ولم أكن أستطيع النوم جيداً لعدة أشهر، وكنت أحياناً أحلم بموكلي. لم أكن أستطع الأكل كثيراً وخسرت بعض الوزن. وشعرت بالاكئاب لمدة طويلة».

محام من إيران

«حين لا أنجح في مهمتي ويتم إعدام أحد موكلي، يكون الأمر محزناً ومزعجاً للغاية، خاصة وأنا أعرف تفاصيل عن الشخص وكيفية تورطه في هذا الوضع. ولا أنسى أبداً وجه الشخص الذي تم إعدامه».

محام من الولايات المتحدة الأمريكية

«أشعر أنني عاجز لفترة من الوقت، بعد كل عملية إعدام. لا يمكنني التحرك وجسمي يصبح ثقيل جداً».

محام من الولايات المتحدة الأمريكية

«أعتقد أنه حين يتم تنفيذ عمليات الإعدام، فإن ما أشعر به هو الخدر المدمر واستنفاد كامل للطاقة».

على الرغم من أن تأثير عملهم كبير، إلا أن المحامين لا يشعرون دائماً أنهم قادرون على الحديث بشأن ذلك مع الآخرين. فالتدريب القانوني لا يهيئ المحامين بشكل كاف لمواجهة التأثير العاطفي لعملهم، والمعايير الاجتماعية للمهنة لا تشجع هذا النوع من الكشف عن الذات⁴. فضلاً عن ذلك، فإن محامي الدفاع في قضايا عقوبة الإعدام معتادين على التركيز على الصدمة والمعاناة التي يمر بها موكلهم ولا يولون عادة اهتماماً مماثلاً

4- انظر مثلاً سوزان أ. بانديس، «القمع والحرمان في المحاماة الجنائية»، نشرة Buffalo Criminal Law Review، المجلد 9، الرقم 1، شباط/فبراير 2006. كتبت بانديس: «قد لا يكون هناك مهنة أخرى يطلب من ممارسيها التعامل مع هذا المقدار الكبير من الألم مع وجود القليل جداً من الدعم والتوجيه».

تود المنظمة الدولية للإصلاح الجنائي أن تشكر سوزانا شيفر التي تولت كتابة هذه الورقة.
تم إصدار هذه الورقة الموجزة كجزء من مشروع المنظمة الدولية للإصلاح الجنائي «الإلغاء التدريجي لعقوبة الإعدام وتنفيذ العقوبات البديلة الإنسانية بعد وقف تنفيذ العقوبة أو إلغائها».
تم إصدار هذه الوثيقة بمساعدة مالية من الاتحاد الأوروبي وحكومة المملكة المتحدة.
محتويات هذه الوثيقة هي من مسؤولية المنظمة الدولية للإصلاح الجنائي فقط ولا يمكن اعتبارها تحت أي ظرف من الظروف بأنها تعكس موقف الاتحاد الأوروبي أو حكومة المملكة المتحدة.

المنظمة الدولية للإصلاح الجنائي

مكتب الشرق الأوسط وشمال إفريقيا
ص. ب: 852122 عمان 11185 الأردن
عمان، الأردن

Penal Reform International

P.O Box : 852122, Zip Code : 11185

Amman, Jordan

priamman@penalreform.org

www.penalreform.org

www.primena.org

المنظمة الدولية للإصلاح الجنائي (PRI) منظمة دولية غير حكومية

مستقلة تُعنى بإصلاح العدالة الجنائية والجزائية في أنحاء العالم. وتنتشر برامج المنظمة الدولية للإصلاح الجنائي الإقليمية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وأوروبا الشرقية وآسيا الوسطى وجنوب القوقاز وأمريكا الشمالية. وقد عملنا مع منظمات شريكة في إفريقيا جنوب الصحراء وآسيا الجنوبية وأمريكا اللاتينية والكاريبي.

للاشتراك في النشرة الشهرية التي تصدرها المنظمة، الرجاء تسجيل البريد الإلكتروني على الصفحة التالية:

www.penalreform.org/keep-informed